وهو المتولي لما اخذ الفرنج دمياط فلقاه واكرمه وحادثه فيما نزل به من موت
ابيه ومحاربة الفرنج ومخالفة الامير عماد الدين احمد بن المشطوب واضطراب ارض
مصر بثورة العربان وكثرة خلافهم فشجعه وتكفل له بتحصيل المال وتدبير الامور
وصار الى القاهرة فوسع يده في مصادرات ارباب الاموال بمصر والقاهرة من الكتاب
والتجار وقرر على الاملاك مالا واحدث حوادث كثيرة وجمع مالا عظيما امد
به السلطان فكثر تمكنه منه وقويت يده وتوفرت مهابته بحيث انه لما انقضت
نوبة دمياط وعاد الملك الكامل الى قلعة الجبل كان ينزل اليه ويجلس عنده بمنظرته
التي كانت على الخليج ويتحدث معه في مهمات الدولة ولم يزل على ذلك الى ان مات
بالقاهرة وهو وزير في يوم الجمعة ثامن شعبان سنة اثنين وعشرين وستماية وكان
شديد الهوى جماعا للمال ضابطا له من الانفاق في غير واجب قد ملات هيبته الصدور
وانقاد له على الرغم والرضا الجمهور واخمد جمرات الرجال واضرم رمادا لم يخطر
ايقاده على بال وبلغ عند الملك الكامل بحيث انه بعث اليه بابنيه الملك الصالح
نجم الدين ايوب والملك العادل ابي بكر ليزوراه في يوم عيد فقاما على راسه قياما
وانشد زكي الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القوصي قصيدة زاد فيها
حين راى الملكين قياما على راسه، لو لم تقم لله حق قيامه، ما كنت تقعد والملوك قيام
وقطع في وزارته الارزاق وكانت جملتها اربعماية دينار في السنة وتتابع ارباب
الحوائج والاطماع ومن كان يخافه الى بابه وملؤا طرقاته وهو يهينهم ولا يجعل
شيخ سنهم وهو حالم واوقع بالرؤسا وارباب البيوت حتى استاصل شافتهم عن
اخرهم وقدم الاراذل في مناصبهم وكان جلدا قويا حل به دوسنطاريا قوية
وازمنت فيئس منه الاطبا وعندما اشتد به الوجع واشرف على الهلاك استدعى
بعشرة من وجوه الكتاب كانوا في حبسه وقال انتم في راحة وانا في الالام كلا والله و
استحضر المعاصر والات العذاب وعذبهم فصاروا يصرخون من العذاب وهو
يصرخ من الالم طول الليل الى الصبح وبعد ثلاثة ايام ركبه وكان يقول كثيرا لم
يبق في قلبي حسرة الا كون ان البيساني لم يتجرع غصتي على عتبتي يعني القاضي
الفاضل عبد الرحيم البيساني فانه مات قبل وزارته وكان دري اللون تعلوه حمرة
ومع ذلك فكان طلق المحيا حلو اللسان حسن الهيئة صاحب دهاء هوج وخبث
في الطبع ودعونه سطوة وحقد لا تخبو ناره ينتقم وتظن انه لم ينتقم فيعود وكان
لا ينام عن عدوه ولا يقبل معذرة احد ويتخذ الرؤسا كلهم اعداءه ولا يرضى لهم
بدون الهلاك والاستئصال ولا يرحم احدا اذا انتقم منه ولا يبالي بعاقبة

بعقابه وكان

ثم تصنع عليها الملائكة وكذلك تفعل في غيرها ولم تزل الخطبة للسلطان الملك العادل
ومات الملك العادل بعد ذلك ومات الفقيه بعده بمدة ومات الموفق ابو اسماعيل بن
ثعلب بالقاهرة في سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستماية **المدرسة الصالحية**
هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقي
فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب هاتين
المدرستين فابتدا بهدم موضع هذه المدارس في قطعة من القصر في ثالث عشر ذي الحجة
سنة تسع وثلاثين وستماية ورتب فيهما دروسا اربعة للفقهاء المنتمين للمذاهب
الاربعة في سنة احدى واربعين وستماية وهو اول من عمل بديار مصر دروسا
اربعة في مكان واحد ودخل في هذه المدارس باب القصر المعروف بباب الزهومة
وموضعه قاعة شيخ الحنابلة الان ثم اختط ما وراء هاتين المدرستين في سنة بضع و
خمسين وستماية وصار حكرا ذلك المدرسة الصالحية واول من درس بها من الحنابلة
قاضي القضاة شمس الدين ابو بكر محمد بن العماد ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور
المقدسي الحنبلي الصالحي وفي يوم السبت ثالث عشر شوال سنة ثمان واربعين
وستماية اقام الملك المعز عز الدين ايبك التركماني الامير علاء الدين ايدكين البندقدار
الصالحي في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس بالمدرستين الصالحية مدة
مع نواب دار العدل وانتصب لكشف المظالم واستمر جلوسه بها مدة ثم ان الملك
السعيد ناصر الدين بركة قان بن الملك الظاهر بيبرس وقف الصاغة التي تجاهها
واماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية وقطع اراضي جزاير بالاعمال الجيزية والاطفيحية
على مدرسين اربعة عند كل مدرس معيدان وعدة طلبة وما يحتاج اليه من امامة
ومؤذنين وقومة وغير ذلك وثبت وقف ذلك على قاضي القضاة تقي الدين محمد بن
الحسين بن رزين الشافعي ونفذه قاضي القضاة شمس الدين ابو البركات محمد بن هبة الله
ابن شكر المالكي وذلك في سنة سبع وسبعين وستماية وهي جارية في وقفها
الى اليوم فلما كان في يوم الجمعة حادي عشري ربيع الاول سنة ثلاثين وسبعماية
رتب الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك جمال الدين الغزاوي يخطب
بايوان الشافعية من هذه المدرسة وجعل له في كل شهر خمسين درهما ووقف
عليه وعلى مؤذنين وقفا جاريا فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا **قبة الصالح**
بجوار المدرسة الصالحية كان موضعها قاعة شيخ المالكية بنتها عصمة
الدين والدة خليل شجر الدر لاجل مولاها الملك الصالح نجم الدين ايوب عندما مات
وهو على مقاتلة الفرنج بناحية المنصورة في ليلة النصف من شعبان سنة سبع

Copyright © King Saud University